آراء

الجمال في عين الرِجال دخان

عائشة بلحاج

حاولي أن تكوني امرأةً تُحبّ أن تبدو في أفضل صورة، ولا تضعي أظافر اصطناعية، لأنّ أظافرك تتكسّر بفعل التوتّر، وضَعف نسبِ الحديد، أو أيّ خلل ستعانين منه مع زحف السنين وتراكم القلق المهني. أو أن لا تضعي رموشاً اصطناعية مع موضة العيون المدخّنة أو الواسعة الأحداق. رغم أنّ الحقيقة أن نظرتك في الأصل مُدخّنة، وأنّ أحداقكِ ضاقتْ، ليس لسبب وراثي، بل لكثرة ما ضاقتِ الحياة أمامك، وضاق خُلقكِ معها. لا يجوز أن تكون لك أحداق واسعة، والأفق ضيّق للغاية أمامك، بل حتى إنّها لمذلّة. أين ستذهبُ الأجزاء الفارغة من عينيك؟ فتتعلّمين أن تُضيّقي نظرتَك، حفاظاً على صحّتك وعقلك، مقاومةً رغبتهم أن يحمّلوا أجفانك بشعيرات اصطناعية، تُخفي الحجم الحقيقي للأشياء عنك. ورغم أن ما من شيء يُعجب المرأة، أو المرء، في ما حولنا، لكنّ رؤيته خير من الوقوع في حفره. أمّا رأسك، فلا يمكنه منافسة ذوات الخصلات الإضافية، مع خفّة شعراته التي قلّ إنتاجه لها للأسباب السّابقة، وغيرها كثير ممّا يطول سرده وشرحه. يكفي رأسك همّ إبقاء عقلك في مكانه، حتى لا يطير فرحه يوماً في لحظة من لحظات الحياة في مستشفى المجانين، الذي نعيش فيه في المدن الكُبرى. لا يمكن منافسة أحدٍ على الإطلاق، لا في مظهرٍ جيّد، ولا في مظهر شاحب، ففكرةُ المنافسة هي محرّك الرأسمالية الاستهلاكية التي نتعلّق بأهدابها كالغرقى، وما نحن بغرقى، إلّا في الحاجة إلى الأشياء التي يمكن الاستغناء عن معظمها. ربّما يعود الإنسان إلى كهفه، ويكون الأمر برداً وسلاماً شرط الاحتفاظ بموادّ النظافة، كالصّابون، وإلّا صرنا قروداً قذرةً. وكم هي محرجة حقيقة أن الإنسان اخترع السّكين والنار، وبنى بيتاً، واكتشف أشياء أخرى كثيرة، قبل موادّ النظافة. رغم أن بعض البشر لم يكتشفوا الصّابون لحدّ الآن، ولا مُزيلات العرق ولا مقصّ الأظافر. يريدون من المرأة أن تضع أشياء صناعية، ويلومونها على ذلك إذا خُدعوا فيها. مع العلم أن البلهاء فقط سيصدّقون أن إحداهن قد تجمع هذا الشعر الغزير السلس، والأظافر الطويلة والصدر العارم والخصر الدقيق الذي يضيقُ ليتّسع... من الخادع، هل الساعي خلف نموذج نمطي للجمال؟ أم المستجيبات لإغراء المحاولة؟ ... الطّامّة أن الأمر لم ينحصر عند ما نعرفه، فهم صنعوا ربلات صناعية، والرّبلة هي الجزء الدائري من الساق. يا للافتراء.. هناك معايير للرّبلات أيضاً! هل نجا جزء من الجسد من التنميط؟

أخيراً في النادي الرياضي الذي أذهب إليه، وبعد أن صارت الأجهزة الرياضية محلّ إقبال كثير من الفتيات، بعد حمّى نحتِ الجسم، فهجرن دروس «الأيروبيك»، وحملن الأثقال بأيديهن وأرجلهن. علّقت سيدة على جسم أخرى، وهما معاً من ذوات الأجساد غير المنحوتة: «لم ينقص وزنك، لكن مكامن الأنوثة برزت». لقد حُلّت معضلة الأنوثة يا نساء بفضل الآلات، ولم نعد بحاجة إلى إثبات أنوثتنا أمام لجان الفحص. ماذا عن الذّكورة؟ اخترع الشبان الهوس بالبروتين لزيادة العضلات. هكذا إذاً، وجدنا مصدراً للذكورة. لكن ليتهم بالمرّة يكتشفون مصادر صناعية للرّجولة والمروءة، رغم أن اللغة العربية لم تجد لنا صفةً مُقابلةً للرجولة عن النساء، فأنّثت المروءة ومنحتها لـ«المرء»، بدل أن تجعلها جمعاً لـ«المرأة». لا يمكن الاعتماد على اللُّغة لإنصاف المرءِ أو المرأة، ولا على مقاييس الجمال، لكنّها مرآة لما هما عليه في مجتمعهما. وسواء في مرآة اللغة، أو مرآة الجمال هناك كثير لفعله. وخداع المظهر يقع صاحبه ضحيّته قبل الآخرين، فكم تعاني اللّواتي تُقدِمن على عمليات التجميل، فتُظهِر برامجُ تغيير المظهر فرحةَ هؤلاء بجمالهن المُكتشَف، لكنّها لا تسألهن: هل تتعرّفن إلى أنفسكن فيها؟ هل هناك آلات لنحت المواقف والضمائر، وتحفيز مناطق إنتاج الصدق والوفاء والعدالة، وإعادة اللغة إلى عقلها؟ إذاً ليست الملامح وحدها الخادعة، بل كثير من الأشياء، فالتّزييف لم يكتفِ بالرموش ولا بـ«الفيلر» ولا بـ«البوتوكس»، بل طاول المواقفَ، وهذا الانبطاح في التطبيع مع الكيان الصهيوني، هو عملية تغيير شامل لضمائر الإنسان. كثير من أصحاب المواقف طبّعوا، فكيف نعرف حقيقة الإنسان من شكله الخارجي؟

لحم الأسد في مطبخ ترامب

عبير نصر

قيل كثيرٌ في «العنطزة الترامبية»، التي تعكس العيوب المتواترة للرئيس القادم إلى البيت الأبيض، لذا وُصِفت الانتخابات الرئاسية الحالية بأنها الأكثر أهميةً في تاريخ الولايات المتحدة، والأشدّ إثارةً للقلق وللجدل، فدونالد ترامب، الذي يتاجر بالصفقات، نُصِّب في مرحلةٍ تاريخية حرجة، ستعيد رسمَ ملامح المنطقة العربية الملتهبة. وعليه ستنعكس رؤيته الأيديولوجية، المستندة في جوهرها إلى قوة المال في تغيير العالم، في سلوكه السياسي، وهذا بالضبط ما يميّزه عن أسلافه من الرؤساء الآخرين. ومن شأن ذلك أن يخلّف تداعياتٍ مهمّةً في ما يتعلّق بسورية، خاصّة أن بنية نظام الأسد باتت معطوبةً، بعدما انتهت مسرحيته الهزلية في التلطّي خلف سردية الممانعة التي استثمرها وسيلةً للابتزاز والمراوغة، شكّلت ديناميكيات علاقاته مع الدول المجاورة. واليوم، لا قدرة لديه على الاستجابة لأيّ مؤثّر بعدما اختار وضعية السُبات والحرائق تشتعل من حوله. وبشّار الأسد، الذي توقّع فوز ترامب في مقابلة سابقة له مع قناة سولوفيوف الروسية، بدا غير مبالٍ حينها، ربّما لأنه يدرك جيّداً شخصيةَ ترامب المتقلّبة، الذي إن وصف الأسد بـ«الحيوان» الذي يتلقّى دعماً من روسيا وإيران، عاد في مكان آخر ليصحّح: «هو رجل سيئ، لكنّه يجيد قتل الإرهابيين». لا شيء ثابت أو مبدئي في مواقف ترامب، ومن المرجّح أن يبقى نظام الأسد مستمرّاً بأداء دوره الوظيفي حارساً شديد الأمانة للحدود الشمالية لدولة الاحتلال، وهذا سيخفّف الضغط عليه في السنوات الأربع المقبلة، ما لم يصبح عبئاً ثقيلاً بتبدّل المصالح وبروز معطيات جديدة.

وعلى الرغم من تصريحات ترامب إبّان ولايته الأولى (2017 - 2021)، بشأن الانسحاب من سورية، وبوضع جردة الخسائر والغنائم في الميزان الترامبي، فإنّ الرئيس الأميركي الجديد لن يتخلّى عن وجوده العسكري في سورية، نظراً لأهميته الاستراتيجية، إذ سبق وأعلن ضرورة انسحاب القوات الأميركية منها عام 2018، ليتراجع ويوافق على بقائها مدّةً أطول. واليوم يبدو الأمر غير وارد أيضاً، لأنّ انسحابه سيخلّف فراغاً ستستغله على الفور طهران وموسكو ودمشق، لتعزيز نفوذها في المنطقة، ما سيعرقل خطّة سلخ وجه الشرق الأوسط ذي النسخة الحالية، والمبيّتة منذ عقود. على التوازي، ورغم أنّ ولايته الأولى (وكذلك ستكون الثانية)، شهدت أعلى درجةٍ من العقوبات والتضييق على طهران، فسيشدّد ترامب على ضرورة إبقاء المليشيات الإيرانية (نسبياً) في سورية، لأنها جزء أساسي في معادلة الصراع الإقليمي. فلا مكتسبات حقيقية من دون أعداء مفيدين وحيويين يدعمون آلة الدعاية الإسرائيلية. أعداء يحسّنون مواقفها ويجمّلون جرائمها لتحقيق حلمها المُشتهى في إقامة الدولة الموعودة. عموماً، من المتوقّع أن يكتفي دونالد ترامب، عرّاب الدعم الصهيوني الذي يؤمن بحاجة إسرائيل إلى حُكّام أقوياء ومستبدّين في الجوار يسيطرون على جيوشهم وشعوبهم كي لا يقلقوا راحتها، بدفع تلّ أبيب إلى مزيد من استباحة الأجواء السورية بحجّة اجتثاث الأذرع الإيرانية، وستبقى هذه المعادلة المتوازنة صالحةً لحماية عرش الأسد، طالما ظلّ الصراع تحت السيطرة الإسرائيلية، ما سيدعم خطط نتنياهو للتوغلّ عميقاً في بلاد الشام ضدّ إيران ووكلائها.

الجدير بنظرة تساؤلية متأمّلة أن تناول الحالة السورية واستشراف مآلاتها القادمة يستند بالمطلق إلى معرفة دقيقة بالطريقة التي يفكر فيها حاكم البيت الأبيض. وللمفارقة، يعاني ترامب من شيزوفرينيا متضاربة تبدو مدخلاً مضلّلاً لقراءة المستقبل السوري، فشعاراته من قبيل «إنهاء الحروب» مُجرَّد «أفيشات» براقة تقترن بعقلية التاجر الأمّي سياسياً، الذي يعتبر نفسه مركز الكون، فهو جامح إلى حدّ يفوق التوقّعات، وإلى درجة التناقض مع نفسه ومع نهج الدولة العميقة الأميركية وثوابتها الراسخة. لا يتوانى عن شتم الأعداء وإهانة الحلفاء، مصرّحاً، من دون خجل، بأن بلاده لن تدافع عن أحد بالمجّان. وبلغ تناقض ترامب حدّاً عجيباً بصفته بُنيةً مُنتجةً لكلّ «شطحاته» المنفصمة، والدليل عندما كشف رغبته بتصفية بشّار الأسد عام 2017، وعارضه وزير دفاعه آنذاك جيمس ماتيس، عاد ليؤكّد أنه ليس نادماً على عدم قتله.

وفي جذر ما تقدّم ذكره، تبدو لاواقعيةُ انتخاب دونالد ترامب (رغم التشكيك بقدراته العقلية أصبح ثاني رئيس يعود إلى الرئاسة في تاريخ الانتخابات الأميركية) واقعيةً بقدر كافٍ لرؤية الوجه الحقيقي لأميركا. إذ بينما يتحدّث العالم بأسره عن عواصف الشرق الأوسط العاتية، فإنّ طريقة ترامب التجارية التعاقدية ستقوده دائماً للحكم على الأمور الإنسانية، لذا ستُبنَى سياسته في سورية على سلسلة من المحدّدات البراغماتية، باتباع نهج الضغط الأقصى على نظام الأسد، ضمن سياق الإجراءات الرامية إلى منع عودة الحياة الطبيعية إلى سورية، وإثارة أزمات تجعلها مستنقعاً قذراً لكلّ من موسكو وطهران، في مقابل سياسة أكثر تعاونية مع تركيا.

> لا شيء ثابت أو مبدئي في مواقف ترامب، والأرجح أن يستمرّ نظام الأسد في أداء دوره الوظيفي حارساً لإسرائيل

في المقابل، يسود اعتقاد يقيني لدى معارضين سوريين بأن الحزب الجمهوري سيكون أكثر تشدّداً في التعامل مع الأسد، ويتناسون أن ترامب نفسه هاجم سابقاً سياسة إدارة باراك أوباما التي تدعم «أشخاصاً لا نعرف هُويّتهم»، على حدّ تعبيره، في إشارة مباشرة لهم. كما يتناسون أن الاعتراف بسيادة إسرائيل على الجولان المحتلّ حدثَ بمباركةٍ شخصية منه. إذاً، من غير المرجّح أن تُحدث إدارة ترامب تغييراً جذرياً على مستوى التعامل مع نظام الأسد، طالما بقي متعاوناً، ليتحرّك ضمن حدود حصاره دولياً من خلال عرقلة عودة العلاقات السياسية والاقتصادية معه.

بطبيعة الحال، وخلال ولايته الثانية، لن يفوّت ترامب مناسبةً دبلوماسيةً أو إعلاميةً لممارسة هوايته المفضّلة في الاستعراض السياسي لقنص ما يتيسّر من المكتسبات والشهرة، تجعله يتسيّد الأخبار العالمية، كما يحبّ تماماً. وبينما يصف بعضُهم شياطين الطمع التي تنطّ في رأس هذا الرجل نفاقاً، ينعته من عرفه عن قرب، ومنهم وزير الخزانة ستيفن منوشين وكبير موظّفي البيت الأبيض السابق رينس بريبوس، بالأحمق الغبي. فوعوده الانتخابية المثيرة وتعهداته الجادّة ليست مُلزمةً له، لأنه ببساطة لا يكترث أبداً. أمّا بشّار الأسد، الذي يقف على كفّ العفريت «الترامبي» السادي الغوغائي، القادر على تغيير مواقفه بسرعة مريبة، فسينأى بنفسه عن الجنون المرتقب القادم من البيت الأبيض، ملتزماً (كعادته) الصمت والانتظار. فهو وإنْ وصف الرؤساء الأميركيين بمدراء تنفيذيين لا يختلف بعضهم عن بعض، يدرك أنّ «طأطأة الرأس» هي سياسته الناجعة للنجاة أمام رجل سيقود العالم، بينما لا يسير في مسارات سياسية منطقية ومتناغمة، وقد يتّخذ خطوات غير متوقّعة حسب ما يرتئيه مزاجه الشخصي بكلّ ما يعتريه من تفاهة ونرجسية.

لم يعد أسلوب البائع الثرثار الذي ينتهجه ترامب يخفى على أحد. هو الذي صرّح يوماً: «المتمردون في سورية لا يقلّون سوءاً عن النظام الحالي». وعليه، ماذا يمكن أن يقدّم للسوريين الذين يحتفظون بذاكرة سيئة عنه؟ ... رجل يتباهى بعنصريّته تجاه المسلمين وبعدائه للمهاجرين، ويعتبر «رحيل الأسد أسوأ من بقائه»، لن يشغل نفسه في تحريك الوضع السوري الراكد، ما دامت هذه العطالة السياسية تخدم مصلحة أميركا وإسرائيل معاً، ليتحوّل بموجبها التشرذم الفوضوي الذي يفتك بسورية تدريجياً شكلاً متّسقاً من أشكال التقسيم الوضعي، وصولاً إلى كانتونات مُعترَف بها، لها أنْ تتقاتل في ما بينها ولها أيضاً أنْ تتعايش.

(كاتبة سورية)

كاريكاتير **عماد حجاج**

عن بيانو قرية الخيام وانزلاقات فوقيّة

باسل. ف. صالح

مؤسف أن نستمع لعزف الفتاة جوليا علي على آلة البيانو خاصتها، بالترافق مع متابعة الأخبار التي تتكلّم عن حجم الدمار الذي طاول منزل أهلها وقريتهم الخيام، كما منازل وقرى غيرهم في بلدات الجنوب اللبناني، وذلك في مقابل فيديو آخر يوثّق وجود جنود العدوّ على الكرسي، وفي المكان نفسه الذي كانت تجلس فيه جوليا خلال عزفها. مؤسفٌ أن نعرف، وأن نشاهد تلك الموهبة، وأن نستمع لتلك الموسيقى، ليس في الزمان العادي، ليس في الزمان الروتيني لمحاولة الفوز بيوميات عيشنا خلال رحلة تفادي العوز، علّها تخفّف عنّا مشقّةَ تلك الطريق، بل أن نشاهده في زمن الحرب والمحاولات المستمرّة للهرب والنجاة من أهوالها ومن تحذيرات العدوّ المستمرّة.

قد يكون التركيز في منزل تلك الفتاة في الأساس، وفي ذلك الفيديو بالتحديد، متأتّياً من محاولة بريئة لتوثيق العزف بمهارة وانسيابية، وقد تكون نابعةً من محض محاولة إبراز ذلك التناقض الصارخ بين الوحشية المطلقة والجمال المطلق، وقد تكون المحاولة بأكملها مُجرَّد طريقة للتمييز الواضح بين حالتَين تتناقضان بشكل عيني، خصوصاً عندما تكون حالات واضحة لا لبس فيها، ولا يحتاج الإنسان إلى بذل أيّ جهدٍ عميقٍ ومضنٍ للبتّ في شأنها. إلّا أن هذه الحالةَ، وتلك المقاربة، هما بالتحديد ما لا يُفترض القياس عليهما بقدر ما يتوجّب الابتعاد عنهما خلال الكلام عن الحقّ بالعيش والحياة في هذا الكوكب، فهل يحقّ للبناني عموماً، والجنوبي أو البقاعي خصوصاً، العيش باختلافاته ومعاييره وقيمه كلّها؟ هل يحقّ له، ولمنزله، أن ينجو من المجزرة، ولو من دون موهبة، ولو لم يكن منزله «جميلاً»، ولو كان يمتلك آلةَ «الدربكّة» أو «المنجيرة» أو «المجوز» مثلاً، تلك الآلات التي ترتبط بالتراث اللبناني وبحياة الإنسان الجنوبي وأعراسه وأفراحه وأتراحه؟ وهل يحقّ له البقاء والعيش من دون أن يحوز معايير القبول في عالم «التحضّر» الموحش هذا؟

كان لافتاً أن بعض التعليقات حاولت أن تبني على الفيديو نفسه سرديةً انزلق فيها بعضهم نحو التمييز بين «الحضارة» من ناحية ما يمثّله «بيانو» جوليا، والتوحّش والإجرام في ما يمثّله جنود العدو وأسلحتهم وعتادهم، وكمية الدمار الذي خلّفوه من ناحية ثانية، معتبرةً الفيديو صورةً واضحةً وصريحةً ومباشرةً لـ«المدنية» و«التحضّر»، منطلقةً من هذا المعيار لتشكّل تمييزاً آخرَ يتأسّس على رفض فكرة التعميم التي يتلطّى بعضهم خلفها ليطاول جميع الجنوبيين، محاولين القول إن هؤلاء لا ينضوون بأكملهم في حزب الله، وأن ليس آباء الجنوبيين وإخوتهم وأخواتهم ينتمون كلّهم إلى الحزب، وأن كثيرين منهم لا يستفيدون منه ولا يشغلون مناصبَ قيادية أو غيرها فيه... إلخ. وبالتالي يحقّ لهم العيش حتى في معايير توحّش العدو ذاتها، بما يوحي وكأنّ «التحضّر» و«التمدّن» انحصرا في العزف على آلة، وكلّ من لا يعرفها أو يعزف عليها غير متحضّر. وكأن كلّ من ينتمي إلى حزب الله على نقيض «الحضارة»، وأكثر اقتراباً من «الهمجية»، إذ من المفترض التطابق مع لائحة المعايير العقلانية العامّة لعالم اليوم، وصلافتها، وفلسفاتها، وجمالياتها، وأخلاقياتها، وسلوكياتها، وأدواتها، وآلاتها، ومواهبها، لكي يكون الإنسان «حضارياً» بشكل لا خلاف بشأنه، بشكل لا يستدعي معايشةَ أشكال الموت والدمار هذين كلّها (!).

قد تكون هذه التفاصيل مُجرَّد محاولات لإعلان التمايز التامّ عن حزب الله، خصوصاً عندما تصدر من مواطنين جنوبيين. قد تكون محاولةً للتذكير والالتصاق بنمط الحياة والثقافة الجنوبية، التي لم يتوانَ الحزب عن تقويضها بغرض ترسيخ نمطٍ بديل من القيم الاجتماعية والتاريخية والثقافية التي كانت سائدة في الجنوب اللبناني. إلّا أنّها محاولاتٌ تعكس انزلاقاً فوقياً يعزّز منطق الحزب أكثر ممّا يُحرجه، تعزّزه في حين أن الغاية من خلفه هي محاولة تسجيل الانتصار السياسي عليه. بل يمكن القول إنها محاولاتٌ تكاد تكون دعايةً مجّانيةً للحزب، من دون الانتباه إلى أنها لم تُؤسّس في مدى العقود الماضية إلّا أرضيةً صلبةً للحزب، أرضية ساعدته على تقوية عوده أكثر بكثير ممّا عملت على إضعافه سياسياً.

(كاتب لبناني)

دراما إيلون ماسك... ذكاء علمي وغباء سياسي

علي سفر

في السلسلة الدرامية الأميركية «Salvation» (الخلاص)، يقدّم صنّاع العمل للجمهور شخصيةً مثيرةً لرجل أعمال طموح ومثابر، يتركّز نشاطه في الأعمال التقنية والعلمية، يتدخّل في تحديد مصير كوكب الأرض، المهدّد بسقوط نيزك مُدمّر، في ظلّ فشل الحكومة الأميركية في معالجة المشكلة.

أوقفت الشركة المنتجة مسلسلها هذا بعد موسمَين ناجحَين (2017 - 2018)، ولم تغامر بإنتاج جزء ثالث يوضح إلى أي حال انتهى مصير العالم، في وسط صراعات عدّة خاضها أبطاله، وفي مقدمهم المغامر داريوس تانز، الذي تقوده الأحداث إلى تولّي رئاسة الولايات المتحدة مؤقّتاً، في وسط انعدام آفاق الحصول على حلّ من السياسيين التقليديين.

يمكن في أيامنا هذه، وبالقياس إلى دراما الخيال العلمي أعلاه، إجراء مقاربة بين الواقع والخيال، حين نرى كيف تتحوّل شخصيةٌ واقعيةٌ، مثيرةٌ أيضاً، إلى ما يشبه التي قدّمتها الدراما، إذ تسمح بذلك مغامرة رجل الأعمال إيلون ماسك الراهنة، ولا سيّما في جزئها الخاص بالتحالف مع الرئيس المنتخب دونالد ترامب، ثم تولّيه منصباً في الإدارة الأميركية.

دنوّ رجال الأعمال من السياسة غير مستغرب، هذا أمر طبيعي في بلدان الاقتصاد الحرّ، ولا يُستهجَن هنا بحث الرئيس الأميركي عن وجوه مالية وعلمية يزيّن بها إدارته، فهو في هذه الحالة يعثر على الجانبَين، وقد أثبت ماسك أنه خيار ممتاز له بعد أن قاد جحفلاً من الرأي العام إلى الصناديق من أجل انتخاب ترامب، ولم يبخل عليه لا بالمال ولا بالجهد. وبالتالي، يعدّ تكليفه بمنصب ما ردّاً للمعروف أيضاً. وبالنظر إلى ترحيب بعض الأوساط بهذه الخطوة، لجهة تعظيم حضور النُخب في عالم الإدارة والمال والتقنيات وعوالم الإنترنت والفضاء في الأروقة السياسية، والإشادة بقدرتها في التأثير، فإن سؤالاً يلحّ علينا، يتعلّق بجدّية الافتراض أن لدى ماسك قدرات مختلفةً تُمكّنه من أداء دورٍ ما في تحسين الوضع السياسي والإداري للإدارة الأميركية، عبر قيادة وزارة مستحدثة تعنى بـ«الكفاءة الحكومية»، ينصبّ اهتمامها على خفض الهدر.

ماسك أنموذج لرجل الأعمال المُسرِف، وتجاربه الحياتية والعملية توضّح هذا، إذ يمكن الوقوف عند حجم إنفاقه المغامراتي على مشاريعه، قبل أن تصبح رابحةً، ويمكن أيضاً التحقّق من أنه في مقابل النجاحات في بعض المشاريع، فإن ثمّة مشاريع أخرى خاسرة وبجدارة، فالنجاح في إطلاق الصواريخ نحو المدار المنخفض للأرض، ثمّ استعادتها، وهو ما تقوم به شركة الفضاء سبيس إكس، لا يخفي فقدان كثيرين مالاً كثيراً في سبيل إنجاح التجارب السابقة للعملية، كما أن أحداً لن يسأل عما أنفقه من أجل خطّته الغريبة لغزو المريخ، والاستثمار فيه، لأن المال هو ماله الشخصي، ومن خلاله غامر بمشروع السيارة الكهربائية تسلا، وعبره يمكنه الإنفاق بلا حدود على مشاريع تُصنّف خاسرةً أيضاً.

في الأرضية ذاتها، وبعيداً من الدراما، يأتي ترامب في عهده الثاني إلى العالم بمجموعة مغامرات، ربّما يشكّل ماسك أبرزها، لكنّ الآمال الكبيرة لا تُبنى على الفقاعات الآنية، إذ لا يوجد لدى ماسك بالأصل مشروع سياسي، كما أن تدخّلاته في هذا المجال تبدو هوائيةً، لا تستند إلى وعي متماسك، وقد تبدو متناقضةً، تختلف بحسب رؤيته لتوضّعات مصالحه، وقد يرى بعضهم أن مواقفه تنحو إلى أن تكون غبيّةً، طالما أنها لا تستند إلى رؤىً محدّدة وثابتة، ومثال ذلك هجومه على القضاء الإيطالي قبل يومَين بسبب صدور حكم يعارض سياسات رئيسة الوزراء اليمينية جورجيا ميلوني تجاه اللاجئين.

> إيلون ماسك أبرز مغامرات ترامب، لكنّ الآمال لا تُبنى على الفقاعات

أخطر ما في الأمر، التباين بين صغر حجم المسؤولية الشخصية في عالم الشركات الخاصّة، الأمر الذي يسمح لأصحابها بدخول مغامرات غير محسوبة النتائج، والمسؤولية الكبيرة للدولة، لا سيّما في نشاطها تجاه مجتمعها، التي ستكون التجاوزات فيها منبعاً لمساءلات يتربّص خلفها أعداء ترامب السياسيين. تفاصيل قصّة إيلون ماسك تبدو عرضاً لأفلام قصيرة في منصّة تيك توك، بعضها مثير، وبعضها الآخر مكرور وممل، لكن ثمّة دائماً من يرغب بالمزيد، طالما أن صانع الألعاب أو المحتوى، لديه القابلية لأن يعيد الكرّة.

(كاتب وإعلامي سوري في بروكسل)

عندما يستنجد محمود عبّاس بمسعد بولص

معن البياري

لولاه، تقريرٌ في «نيويورك تايمز»، نشرته السبت الماضي، لما صار في علمنا أن الرئيس الفلسطيني محمود عبّاس التقى في نيويورك، على هامش مشاركته في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، في سبتمبر/ أيلول الماضي، والد صهر دونالد ترامب، المتزوّج من ابنته تيفاني، رجل الأعمال الأميركي اللبناني الأصل مسعد بولص. ويُدرج التقرير هذا اللقاء ضمن محاولات عبّاس «التصالح» مع ترامب الذي كانت عودتُه رئيساً للولايات المتحدة غير مستبعَدة. ومن هذه المحاولات تهنئة عبّاس ترامب بنجاته من محاولة الاغتيال في يوليو/ تموز الماضي، في رسالةٍ ساهم مسعد بولص (ورجل الأعمال الأميركي الفلسطيني بشارة بحبح) في إيصالها إلى صاحبها الذي اعتبرها «لطيفةً للغاية». وبعد الانتخابات، لم يكتف عبّاس برسالة تهنئةٍ تقليدية، بل تحدّث مع الرئيس العائد هاتفياً، مهنئاً أيضاً. ولم تُخف وكالة الأنباء الفلسطينية الرسمية خبريْ المكالمة والرسالة، على غير ما فعلت بشأن اللقاء مع مسعد بولص، وبخصوص تلك البرقية التي بدا ترامب مبتهجاً بها، عندما نشرها على منصّته «تروث». حسناً يصنع رئيس دولة فلسطين عندما يلعب مقداراً من السياسة والعلاقات العامة، بل وأن يعمل على «ترميم» علاقاته مع ترامب، وهو الذي كان قد أعطى تعليماتِه إلى عموم المسؤولين الفلسطينيين بمنع أي تواصلٍ مع الإدارة الأميركية السابقة برئاسة ترامب، في غضون إشهار الأخير اعتراف الولايات المتحدة بالقدس عاصمة لإسرائيل، وإعلانه «صفقة القرن» إيّاها التي أخذ عبّاس موقفاً رافضاً كل شيء فيها بشدّة. ونشر، في تلك الأثناء، أن عبّاس رفض في يناير/ كانون الثاني 2020 تلقّي مكالمةٍ هاتفيةٍ من ترامب نفسه.

ليست القضية هنا، إنما في ما إذا كان عبّاس يعتنق أن شغل العلاقات العامّة هذا هو السياسة، وأنه أداته الوحيدة في محاولة جرّ ترامب وإدارته المرتقبة إلى شيءٍ من التوازن في العلاقات الأميركية مع دولة الاحتلال ومع الفلسطينيين. ولعله طريفاً أن نقرأ أن مسعد بولص قال لـ«نيويورك تايمز» إنه لم يُبلغ ترامب بلقائه مع عبّاس، لا قبلَه ولا بعدَه، وبأن اللقاء كان «شخصياً محضاً». وهنا يطرأ سؤالٌ عمّن يكون هذا الشخصي بين الرجلين. أما البالغ الجدّية هنا فهو السؤال عمّ سيصنع محمود عبّاس عندما يُعلن نتنياهو ضمّ الضفة الغربية إلى دولة الاحتلال، ثم يُبارك هذا البيت الابيض، حيث الرئيس اسمُه دونالد ترامب؟ ومسوّغ السؤال أن رئيس حكومة إسرائيل قال إن هذا ما سيفعله في الأيام الأولى لرئاسة ترامب المنتظرة. وذلك من دون إغفال أن من رشّحه ترامب سفيراً في إسرائيل، مايك هاكابي، وهو عنصري شديد الولع بالدولة الصهيونية، قال، بغير كثير من المواربة، إنه لا يرى شعباً اسمُه الشعب الفلسطيني، وإن من الممكن أن تدعم الولايات المتحدة هذا الضمّ.

تذهب إسرائيل إلى حربٍ على الوجود الفلسطيني نفسه، ليس فقط على عناوينه وتشكيلاته السياسية، سلطةً وطنيةً أو منظمّة تحرير أو فصائل أو «حماس» أو غيرها، وإنما على حقوقه الدنيا في البقاء شعباً في أرضٍ له، سيادتُه عليها إدارتُه شؤونه فيها مستحقّان له. لسنا أمام يمينٍ إسرائيليٍّ ينتهج الاستيطان سياسةً معلنة، وإنما أمام فاشيةٍ مُشهرة، أعملت في غزّة كل صنوف التوحش والتطهير والإبادة، وقوّضت إمكانات الحياة الطبيعية للبشر. ولم تردع «جيش الدفاع» أطنان المناشدات والمطالبات والتنديدات والبيانات، ومعها المظاهرات، والقرارات في مجلس الأمن وغيره، لم تردعْه عن أي جريمة حربٍ خطّط لاقترافها ثم اقترفها.

تكتمل في هذه الأيام 20 عاماً على تولّي محمود عبّاس رئاسته دولة فلسطين. لم يدلّل، ولو مرّة (وإنْ أثنى عليه صاحب هذه الكلمات إبّان «صفقة القرن») إنه صاحب مواهب سياسيةٍ عالية، ولا أن لديه شيئاً من الخيال السياسي، ولا أنه يُحسن مخاطبة العالم بشأن عدالة القضية الفلسطينية (كلماته في الأمم المتحدة مُخجلة غالباً)، ولا أنه على أهليّةٍ قياديةٍ لشعبٍ يغالب محناً كبرى، ويتعرّض لأشنع صنوف المحو والاحتلال والاستهداف. وجاءت جرائم العدوان على هذا الشعب في غزّة تؤكّد المؤكّد بشأن السيد الرئيس. ولا يحتاج واحدُنا إلى حصافةٍ خاصةٍ ليوقن أن اللقاء الذي لم يُخبَر به ترامب، بعدَه وقبله، مع مسعد بولص، لم يكن لينفع في شيءٍ بشأن الساكن المرتقب في البيت الأبيض. يحتاج عبّاس إلى مصارحةٍ مع نفسِه، أن يصير ثائراً مرّة واحدة وأخيرة، أن يثور على شخصه، فيغادر الملعب، لا أن يستنجد برجل أعمالٍ على صلة مصاهرة مع رئيس الدولة الأقوى.

حديث النصر والهزيمة

حسام كنفاني

منذ الأشهر الأولى للعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، والذي امتد الآن إلى لبنان، لا يكل «الناشطون الاجتماعيون» (نسبة إلى وسائل التواصل الاجتماعي) من الحديث عن إرهاصات النصر أو ملامح الهزيمة من مواجهة آلة القتل الإسرائيلية. هذا الحديث يتحول مباشرة إلى تلاسن وتخوين بين المؤمنين بالنظرية الأولى والمقتنعين بالثانية، من دون أن يؤدي هذا السجال إلى أي تغيير في واقع الإبادة التي يتعرض لها على الأرض الفلسطينيون واللبنانيون.

هذا السجال لم يتوقف عند حد الاختلاف على معاني الهزيمة والانتصار، بل انتقل إلى التخوين والتقليل من «وطنية» هذا الطرف أو ذاك. ولنتذكر أن هذا التخوين طاول، ولا يزال يطاول، الفلسطينيين الهاربين من المجازر الإسرائيلية. فحتى الأمس القريب يلوم بعض «الخبراء الاستراتيجيين» الغزيين الذين غادروا القطاع إلى مناطق أكثر أمناً خوفاً على حياتهم وحياة أحبائهم. لائمة تستند إلى مقولة «التشبث بالأرض والقضية»، وهي تحمل الكثير من الشعبوية لمن يجلس بعيداً يراقب عبر شاشات التلفزة، كأنه يشاهد مباراة كرة قدم، فلا هو يقع في دائرة الاستهداف الناري، ولا يتعرض لحرب تجويع ويبحث عن قوته بين أنقاض المنازل وما تبقى من طعام فيها. فمن السهل جداً التنظير في الصمود والتصدي لمن لم يذق سابقاً أهوال الحروب ولم يعش تداعياتها، ولمن لا يفقد كل يوم عزيزاً أو قريباً أو أملاكاً.

من المؤكد أنه لا بأس بالتفاؤل ومحاولة رفع الروح المعنوية لكثير من المواطنين، سواء كانوا من الفلسطينيين أو اللبنانيين أو غيرهم من العرب، لكن من دون الشك والتخوين أو التهليل «لإنجازات» أو «معجزات» لا يراها سوى أولئك المؤمنين بها أو المستفيدين منها. فالمعركة طويلة، وما نخوضه اليوم هو جولة، قد تكون قاسية، لكنها ليست نهاية الحرب، لذا فالإقرار بأن الوضع صعب وليس في صالحنا، على الأقل على المدى القصير، ليس نهاية العالم ولا يعني اندثار القضية والاستسلام للعدو.

على المقلب الآخر، هناك مشهد مختلف، هناك فعلاً من يستعجل إعلان الهزيمة أمام إسرائيل، مستنداً إلى القدرة التدميرية الإجرامية التي تستخدمها قوات الاحتلال في قطاع غزة أو جنوب لبنان وضاحيته الجنوبية وبقاعه. مشاعر كثير من هؤلاء قد تكون نابعة من الرغبة في الحفاظ على ما تبقى من بشر وحجر، لكن كثيرين آخرين ينطلقون من تصفية حسابات مع «حماس» في غزة أو حزب الله في لبنان، وهم لا يخفون في أحيان كثيرة رغبتهم في رؤية نهايتهما. وأيضاً لا يتوانون عن التقليل من فعل المقاومة وقدرته على الحد الأدنى من إيلام العدو، مستندين ربما إلى سقف التوقعات الذي كان مرتفعاً قبل الحرب من قدرة المقاومة على مواجهة إسرائيل. فما كانت تعلن عنه فصائل المقاومة في لبنان أو غزة من قدرات قتالية، كان يقلق إلى حد كبير خصوم الداخل، والذين يمكن القول إن كثيراً منهم يشمت بقلة فاعلية هذه القدرات. معظم هؤلاء لا يفكرون بسيناريو اليوم التالي، وأي مستقبل ينتظر المنطقة في حال حققت إسرائيل، ومن ورائها الولايات المتحدة، أهداف حربي غزة ولبنان، وتأثيراته على مسارات العلاقات البينية العربية التي ستكون ماضية إلى مزيد من التفكك، مع ما يمكن أن يحمله ذلك من صراعات إقليمية وحروب أهلية.

سجال النصر والهزيمة، ومن كان على حق ومن كان على خطأ، مستبَق كثيراً لأوانه في ظل الإبادة الجماعية الإسرائيلية، والتي لا تقف عند حدود قطاع غزة ولبنان. فحالياً كلنا نعيش ويلات القتل والتدمير التي يجب التركيز على وضع حد لها، ومن بعدها لتكن تأويلات من وكيف انتصر ومن وكيف هزم.

ترامب الثاني أشد تطرّفاً وخطورةً

أسامة أبو ارشيد

يتأهب دونالد ترامب للعودة إلى البيت الأبيض، لا ليقود الولايات المتحدة من جديد أربع سنوات فحسب، بل في نيته إعادة تشكيلها وصياغتها إن استطاع. قد تبدو مهمّةً صعبةً لرجل يبلغ 78 عاماً، وبدأت تظهر عليه أمارات الشيخوخة ذهنياً وجسدياً، لكنّه لا يُخفي نواياه ولا مراراته وغضبه، ولا قائمة أعدائه وعزمه على تصفية الحساب مع من يعتبر أنهم استهدفوه أو خانوه، سياسيين كانوا أم مهنيين، مدنيين أم عسكريين. الأخطر أنه يعود إلى واشنطن مختلفة عن التي وصل إليها رئيساً قبل ثماني سنوات، حينها كان الجمهوريون أغلبية في مجلسَي الكونغرس (النواب والشيوخ) ولكنّ معظمهم لم يكونوا من أنصاره أو يشعرون بأنهم مُرتهَنون له. أمّا اليوم، فيقبع الحزب الجمهوري، الذي سيطر على أغلبية النواب والشيوخ مجدّداً، في عباءة ترامب، وأكثر أعضائه في الكونغرس يدينون له بالولاء، رغبةً أو رهبةً. أيضاً، عندما وصل ترامب إلى الرئاسة عام 2017 كان ثمّة توازن (نوعاً ما) قوى في المحكمة العُليا، مع أفضلية للمحافظين (5 - 4)، وكثيراً ما لعب رئيس المحكمة المحافظ جون روبرتس دور بيضة القبّان للحفاظ على التوازنات في القضايا الكُبرى. غير أن الواقع مختلف اليوم، فخلال ولايته الرئاسية الأولى (2017 - 2021)، عيّن ترامب ثلاثة قضاة جدد شديدي التطرّف في المحكمة العُليا. يضاف إلى ذلك أن النسخة الثانية من ترامب، أو الرئيس الـ47، غير النسخة الأولى منه أو الرئيس الـ45، إذ إنه يفهم واشنطن أكثر اليوم، وكيف تعمل الحكومة وتوازنات القوى فيها.

إذا ما أخذنا ما سبق كلّه في الاعتبار، فإننا أمام نسخةٍ ثانية أخطر وأشدّ تطرّفاً ونرجسيةً من ترامب (ترامب 2,0)، خصوصاً أنه يدرك أن هذه فرصته الأخيرة لإعادة تشكيل أميركا كما يتخيّلها، دولةً شعبويةً عنصريةً تعاقديةً، تضع مصالحها فوق مصالح الإنسانية جمعاء. حتى مسألة أن هذه الدورة الرئاسية هي الثانية والأخيرة لترامب دستورياً لا يبدو أنه يقرُّ بها، وسبق له أن طالب بتمكينه من البقاء أكثر من دورة، وأعاد تكرار هذا في لقاء جمعه مع النواب الجمهوريين، الأربعاء الماضي، ملمّحاً إلى ضرورة أن يفعلوا شيئاً لتمكينه من ولاية ثالثة. من ثمَّ، مقاربة التوجّس والقلق من ولاية ترامب الثانية، داخلياً وخارجياً، لها ما يسوّغها، بل هي الأمر الطبيعي، وعلى الولايات المتحدة والعالم أن يشدّا الأحزمة ويتأهبا لأربع سنوات من الاضطرابات والتقلّبات بناءً على مزاج الرئيس القادم وأجندته، وأجندة من حوله من مجانين الأيديولوجيين والشعبويين والعنصريين. إننا على موعد مع أربع عجافٍ (على الأرجح) سنكون فيها كمَن يخوض غمار قطار موت (أفعوانية: Rollercoaster) رهيبة. ولكن صريحين، سنكون، نحن العرب الأكثر تعرّضاً للخطر، إذ إننا ركّاب أفعوانية من دون كوابح ومن دون إجراءات سلامة ومن دون أحزمة أمان، وفوق هذا وذاك لا أنصار ولا بواكي لنا.

نظرة فاحصة ومتأنية على بعض ترشيحات ترامب لأكثر المناصب حساسية وخطورة، داخلياً وخارجياً، تنبئنا بحقيقة المتاعب والتقلّبات التي تقف أميركا والعالم على حافتها. تعلّم ترامب من تجربة ولايته الرئاسية الأولى أن استعانته ببعض كبار المسؤولين من المهنيين كانت قيداً على نزواته وأجندته المبعثرة وغير المنسجمة. لذلك، اصطدم بعدد من وزرائه، كوزيرَي الخارجية والدفاع ريكس تيلرسون وجيمس ماتيس، كما اصطدم بمستشارين له للأمن القومي، ومن عيّنهم مسؤولين عن أجهزة المخابرات، وكان مصيرهم الطرد جميعاً. على هذا الأساس، معيار التعيينات اليوم عنده الولاء، والولاء فقط، لا الكفاءة. على المستوى الداخلي، يكفي أن تنظر إلى مرشّح ترامب لمنصب وزير العدل، النائب الجمهوري من فلوريدا مات غيتس. هذا رجل مجنون يميني بكلّ ما تعني الكلمة من معنى، حتى أن ترامب يبدو معتدلاً في مقابله. غيتس مكروه حتى من داخل حزبه، وهو من قاد جهود إطاحة قائد حزبه والرئيس السابق لمجلس النواب كفين مكارثي في أكتوبر/ تشرين الأول الماضي، بعد أقلّ من عشرة شهور من انتخابه رئيساً للمجلس. المفارقة، أن غيتس هذا يتصدّر الجهود الجمهورية للتشكيك في صلاحيات وزارة العدل ويتهمها بأنها مسيّسة، وفوق هذا وذاك هو نفسه متّهم بعلاقة غير قانونية مع فتاة قاصر. وهكذا، يصبح المتّهم بجريمة مسؤولاً عن الوزارة المنوط بها حفظ القانون. ولا غرابة في ذلك، فالرجل المدان بـ34 تهمة جنائية، وملاحق بمحاولة قلب نتائج انتخابات الرئاسة عام 2020، انتُخب رئيساً من جديد. هذه أميركا اليوم.

ينطبق الأمر على ترشيحات ترامب في السياسة الخارجية. خذ بيت هيغسيث، الضابط السابق في الحرس الوطني الأميركي ومقدّم البرامج في شبكة فوكس نيوز (اليمينية)، الذي رشّحه ترامب لتولّي منصب وزير الدفاع في إدارته المقبلة. سبب تعيين ترامب له أنه كان يتابع برنامجه على القناة اليمينية، وكان دائمَ وشديدَ التملق لترامب. ولو خضنا في أسماء أخرى كثيرة مرشّحة (قد يكون من أصحابها من عيّنوا رسمياً لحظة نشر هذه السطور)، مثل السيناتور ماركو روبيو، المرشّح لمنصب الخارجية، أو النائبة إليز ستيفانيك المرشّحة سفيرةً في الأمم المتحدة، أو مايك والتز مستشاراً للأمن القومي، أو النائبة الديمقراطية السابقة تولسي جابارد المرشّحة لقيادة الاستخبارات الوطنية، أو مايك هوكوبي المرشّح سفيراً في إسرائيل، فإننا نجد أن العوامل المشتركة بينهم اليمينية والشعبوية المفرطة، والولاء المطلق لترامب، والعداء للمؤسّسات والتحالفات الدولية (روبيو استثناء هنا ولكنّه يقدّم تماهيه مع ترامب وولاءه له على قناعاته)، والتعاطف غير المحدود مع إسرائيل. وتتضاعف خطورة الأربع سنوات المقبلة إذا ما أخذنا في الاعتبار أيضاً أن ترامب يأتي بأجندة يمينية شعبوية صارخة معدّة مسبقاً من مركزَي دراسات يمينيَين، هما Heritage Foundation، وAmerica First Institute. ولا يُخفي ترامب نياته بأنه يسعى إلى تطهير المؤسّسات الأمنية والعسكرية والسياسية ممّن يعدّهم خصوماً سياسيين وعوائق تحول دون تطبيق أجندته.

> أميركا مؤذية لنا نحن العرب دائماً، لكنّها أكثر أذىً وخطورةً تحت حكم شعبويّ يمينيّ متطرّف ومتصهين حتى النخاع

طبعاً، ما سبق لا يعني أن ترامب لن يواجه معارضة داخلية وخارجية، خصوصاً أن الديمقراطيين، وإن لم يكونوا في الأغلبية في الكونغرس الآن، سيجعلون من الانتخابات النصفية بعد عامَين استفتاء عليه. كما أن كثيراً من وسائل الإعلام ومؤسّسات المجتمع المدني والحركات الشعبية، وبعض مستويات البيروقراطية والقضاء، في أميركا، ستعمل قدر المستطاع لكبح جماح الرئيس وإدارته عامَين على الأقلّ. على المستوى الخارجي، فإن زيادة منسوب التوتّر مع دول وازنة مثل الصين، أو حتى مع الحلفاء، مثل الشركاء في حلف شمال الأطلسي أو الاتحاد الأوروبي، قد تشكّل كوابحَ إضافية. لكن، كم ستكون فعّالية هذه الكوابح في لجم جماح دولة مثل أميركا وإدارة مثل إدارة ترامب القادمة؟

ثالثة الأثافي، ستكون من نصيبنا نحن العرب، وكذلك في فلسطين. من ثمَّ، لا يكفي شدّ الأحزمة في حالتنا، بل لا بدّ أن نبحث وسائل نجاتنا ونحدّدها. صحيح أن أميركا مؤذية لنا دائماً، سواء تحت حكم ديمقراطي أم جمهوري تقليدي، ولكنّها أكثر أذىً وخطورة تحت حكم شعبويٍّ يمينيٍّ متطرّف ومتصهين حتى النخاع. وليس من الدقّة والصواب قراءة واقع أميركا اليوم بالمقاربات السابقة، فأميركا تغيّرت وتتغيّر، وثمّة صراع حقيقي على جوهرها وإمكانية اختطافها وإعادة تشكيلها، حتى وإن لم يكن ذلك مهمّةً سهلةً أبداً.

(كاتب فلسطيني في واشنطن)

كيف يحوّل نتنياهو إسرائيل دولةً ديكتاتورية؟

أحمد الجندي

تبدو الفوارق كبيرةً للغاية بين بنيامين نتنياهو العام الماضي ونتنياهو الحالي، وشتّان الفارق بين الوجه العابس لرئيس الوزراء، الخائف، والمشغول بمستقبله السياسي خلال الشهور الأولى من الحرب الحالية، وقناع الزعامة الذي يرتديه حالياً، وكأنما تحوّل منقذَ إسرائيل الجديد، أو مسيحها المخلّص، الذي ينفّذ خططه، ولا يستطيع أحد إيقافه، ولا ردعه عن أن يتحوّل ديكتاتورَ إسرائيل المُؤيَّد من الربّ. ولطالما تعاملت الولايات المتحدة، والغرب الأوروبي، مع إسرائيل بوصفها الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، ولطالما حاولت دولة الاحتلال ترويج الأمر نفسه، وأنها تعيش وسط محيط عربي استبدادي لا علاقة له بالحرّية. وبغضّ النظر عن أن الكيان الصهيوني ارتبط منذ نشأته بالفصل العنصري، والتمييز بين سكّانه على أساس العرق واللون، فإن حقيقة الاستبداد في العالم العربي هي التي دفعت لتضخيم فكرة أن إسرائيل دولة ديمقراطية، غير أن وجود نتنياهو في رأس السلطة في الكيان الصهيوني، لما يزيد عن 17 عاماً، كان كفيلاً بنزع هذه القشرة «الديمقراطية» التي كانت تعلو وجه دولة الاحتلال، وتحويلها دولةً قمعيةً. والعام الأخير من حكم نتنياهو، ومنذ انطلاق الحرب الحالية، كان له الأثر الأكبر في تحوّل إسرائيل ديكتاتورية بات كثيرون من السياسيين والمفكّرين والإعلاميين في إسرائيل يرصدون مظاهرها، ويعانون منها. والحقيقة أن المتابع لما يحدث في إسرائيل، منذ بدء هذه الحرب، يمكن أن يلحظ أمرَين. أولهما أن الحكومة حقّقت مكاسب كبيرة على المستوى الداخلي، فاستطاعت تحجيم المظاهرات الرافضة لأدائها أو المعترضة على أجندتها السياسية والقانونية، وتصوير هذه المظاهرات في وسائل الإعلام التابعة لها تضرّ بأمن إسرائيل، وأن من يحرّكونها أو يشاركون فيها يخونون الدولة، ويقدّمون هديةً مجّانيةً لأعداء إسرائيل، وهذا الخطاب أصبح ينسحب على مظاهرات عائلات الأسرى الإسرائيليين في غزّة، على اعتبار أنهم يفكّرون في مصلحتهم الضيّقة، وليس في مصلحة البلاد. أمّا الأمر الآخر فهو أن الحكومة وظّفت الحرب ذريعةً لتسريع تنفيذ مخطّطاتها في السيطرة على مؤسّسات الدولة، وتمكين اليمين من مفاصلها، والتخلّص من معارضي الحكومة عبر تعيين موالين لها في هذه المؤسّسات، بل والتفكير في التخلّص من المستشارة القانونية للحكومة، رغم تعقيداته، وصولاً إلى توزيع الأسلحة على المستوطنين وتحويل مجموعات (ينتمي أغلبها إلى التيّار الديني القومي، الذي ينتمي إليه الوزيران إيتمار بن غفير وبتسلئيل سموتريتش) إلى ما يشبه المليشيا المسلّحة. الأخطر من ذلك، أن جمعية حقوق المواطن في إسرائيل نشرت في الثامن من أغسطس/ آب الماضي بياناً يتحدّث عن «تحويل بن غفير الشرطةَ أداةً تنفيذيةً يوظّفها من أجل تعزيز سياسته وأجندته السياسية»، وقد شمل ذلك توسيع صلاحيات الشرطة لاختراق أجهزة الكمبيوتر والهواتف المحمولة، وإغلاق وسائل إعلام بدعوى نظام الطوارئ بسبب الحرب. وهكذا بات اليمين العلماني، المتمثّل في القطاع الأوسع في حزب الليكود، والتيّار الديني القومي، المتمثّل في حزبَي بن غفير وسموتريتش، والتيّار الديني الحريدي، في حزبي شاس ويهدوت توراه، ينظرون إلى معاناة الجيش الصهيوني، في غزّة أو في الجنوب اللبناني، شريانَ حياةٍ لا ينبغي أن يتوقّف، لأن توقّفه يعني العودة إلى الروتين المعتاد الذي كان موجوداً قبل الحرب. وعلى اعتبار أن مصائب قوم عند قوم فوائد، فإن كارثة السابع من أكتوبر (2023)، والحرب التي أضرّت باليمين في أوّلها بالنيل من سمعته، ومن قدرته في مواجهة أعداء الدولة، واعتبرتها المعارضة فرصةً لإسقاط الحكومة، والتخلّص من نتنياهو إلى الأبد، هي نفسها الحرب التي وُظِّفت لتمكين قوى اليمين ذاتها، وإعطائها الفرصةَ لإحكام سيطرتها على الدولة، وهي التي عمّقت شعور الجمهور الإسرائيلي بضعف قوى المعارضة. ومن الواضح أن الظروف الصعبة، التي تعرّض لها نتنياهو في الأيام الأولى لـ«طوفان الأقصى»، دفعته للتخلّص من أيّ ضغوط تُفرَض عليه بدعوى الديمقراطية، وتسريع خطواته لإحكام سيطرته على الدولة، ومن هنا جاءت إقالته يوآف غالانت في وسط الحرب، غير عابئ بأيّ ضغط داخلي من عائلات الأسرى وقادة المعارضة، أو تخوّف من تحفّظ أميركي. وقد دفعت غرابة توقيت الإقالة الصحافي في «هآرتس»، يوسي فرتر، إلى اتهام رئيس الحكومة الإسرائيلية باحتقار الدولة، خاصّةً أن سبباً رئيساً لإقالة غالانت كان عدم موافقته على تقديم قانون إعفاء الحريديم من الخدمة العسكرية لإقراره في الكنيست، وهو ما اعتبره فرتر علامةً جديدةً على استبداد نتنياهو وديكتاتوريته.

> طبيعة نتنياهو استغلال أيّ حدث من أجل البقاء في كرسي السلطة في دولة الاحتلال
>
> تحويل دولة الاحتلال كياناً قمعياً قد يبدو مكسباً في نظر اليمين الحاكم، لكنّه من علامات أفول المشروع الصهيوني الاستعماري

ما يتحدّث به السياسيون الإسرائيليون الحاليون، وكثير من الإعلاميين عن استبداد نتنياهو ليس جديداً، فطبيعة نتنياهو هي استغلال أيّ حدث من أجل البقاء في كرسي السلطة في دولة الاحتلال، فمثلما يستغلّ الحرب الحالية ويطيل أمدها للاستمرار في السلطة، استغلّ من قبل أزمة كورونا في فرض حالة الطوارئ على المحاكم من أجل تعطيل محاكمته في قضايا فساد، في خطوة من خطوات مسيرته الديكتاتورية، وتدمير الديمقراطية في إسرائيل، حسب المحلّل الإسرائيلي، أمير أورن، في موقع والاه.

ويرى أستاذ العلاقات الدولية في جامعتَي تلّ أبيب وكورنيل في نيويورك، البروفيسور أوريئيل أبولوف، أن نتنياهو يقود إسرائيل لتكون دولةً استبداديةً ثيوقراطيةً، وأنه ورجال حكومته يعتقدون أنهم رسل الربّ، أو بالأحرى «آلهة» ضمن مشروع مسياني، وبالتالي لم يعد من الممكن الثقة في أحد غيرهم لإنقاذ إسرائيل، وهم بأفعالهم هذه يقودون الدولة إلى هاوية خطيرة. يؤكّد ذلك أن كلام أبولوف كان في أغسطس 2023 على خلفية ما عرف بالثورة القانونية التي أرادت الحكومة الحالية تمريرها، أي قبل الحرب الحالية. وقد زاد نتنياهو من ديكتاتوريته، وأصبح يحكم إسرائيل لا يعارضه فيها أحد. وحسب وصف الكاتب والمحاضر في القانون، جال لفرتوف، فإن نتنياهو يقود إسرائيل لتصبح دولةً ديكتاتوريةً على غرار روسيا، لكن على نحو مصغّر، أو ربّما نسخة أخرى من كوريا الشمالية، كما أنه يتوجّه إلى أن يكون نسخةً من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وهو في سعيه هذا يقسّم الشعب، ويدمّر «الكيان الصهيوني» في الداخل، حسب لفظ لفرتوف. وتدل خطوات نتنياهو كلّها على شعور متضخّم بالعظمة، وعدم قبوله أيّ معارضة، ومن ثمّ فإن إقالته وزير الحرب، وتعيين يسرائيل كاتس مكانه، وهو شخص لا يجرؤ على مناقشة أوامر نتنياهو، يتسق تماماً مع طبيعة الأخير في التعامل مع معارضيه داخل حزب الليكود. ويرى الصحافي في «يديعوت أحرونوت»، تسيفر بلوتسكر، أن هذا الإحساس المتضخّم بالذات دفع نتنياهو للظنّ أنه حامٍ للإنسانية كلّها، وليس للإسرائيليين وحدهم، وهو ما عكسه قوله حول خوض الحرب الحالية «في مواجهة محور الشرّ من أجل الإنسانية كلّها»، كما جاء ضمن خطابه في الذكرى الأولى لـ«طوفان الأقصى».

وقد أصبحت ديكتاتورية رئيس الحكومة عدوىً تطاول كلّ وزير في حكومته. فوزير الإعلام، شلومو درعي، عمل لتعيين شخصيات لها توجّهات ليكودية واضحة في مناصب مهمّة في وزارته، مثلما هو الحال في هيئة البثّ الإسرائيلية، وهي خطوة هدفها القضاء على استقلال الهيئة وإخضاعها للوزير، وباتت المظاهرات ممنوعةً بحجّة الحرب، وأصبح اعتقال المتظاهرين أو قمعهم، والاعتداء العنيف عليهم، واعتبارهم مكّدِرين للأمن العام والسلم الأهلي أمراً اعتيادياً من «شرطة بن غفير»، أو «مليشيا بن غفير»، كما يحلو لكثير من الإسرائيليين تسميتها.

وهكذا تتّسع النظرة إلى نتنياهو في إسرائيل على أنه شخص مستبدّ، حتى أصبح يوصف لدى كثير من السياسيين والمحلّلين بـ«الديكتاتور الملعون»، الذي يريد أن «يغلق أفواه أغلب مواطني إسرائيل، وأن يوقف أيّ نقد شعبي ضدّه»، والذي يعتبر أن الأسرى الإسرائيليين في غزّة (وعائلاتهم) هم العدو الأكثر خطورة عليه، هو ومؤيّديه. بل إن مسؤولين كبارا في مؤسّسات علمية، مثل مدير مدرسة جيمناسيا العليا (ذات الأهمية الكبيرة في دولة الاحتلال)، زئيف دجاني، نادوا بضرورة «إسقاط الديكتاتور المستبدّ القاتل»، في إشارة إلى نتنياهو.

ما سبق يعني أن نتنياهو، وإن كان ناجحاً في القتل الممنهج للنساء والأطفال، وفي التدمير المقصود في غزّة ولبنان، فإنه ووزراء حكومته (في المقابل)، يعملون لتحويل دولة الاحتلال كياناً قمعياً ديكتاتورياً، وصناعة حالة من الخوف الداخلي، وإظهار ضعف المعارضة وعجزها، وتمزيق المجتمع، وإطلاق يد مؤيّدي اليمين، ومليشيات بن غفير للتحرّش بمظاهرات أهالي الأسرى والمعارضة، وقمعها، وتحويل الجيش مُجرَّد أداةٍ لتنفيذ مخطّطاته ورؤية التيّار الديني القومي. وهذه كلّها، وإن بدت مكاسبَ في نظر قوى اليمين الحاكم، مظاهر ضعف كبير، وعلامات أفول للمشروع الصهيوني الاستعماري.

(كاتب مصري في إسطنبول)

الظاهرة الاستشراقية وخرائط الأسئلة

سيف الدين عبد الفتاح

الظاهرة الاستشراقية من الظواهر المتراكمة، التي تتجدّد وتتحدّد ضمن سياقاتها، ومن المهم أن نعايش هذه السياقات المعرفية متى يمكننا التعرف إلى ما يدور بمجتمعاتنا، ويمكننا أن نفكّكها ونركّبها. هذه الظاهرة، كغيرها من الحقائق المنهجية، من الواجب فحصها وتدقيقها ضمن عمليات تشريحها وترشيحها. وبما أن كلّ ظاهرة في أيّ مجال معرفي في العلوم الإنسانية لا بدّ أن تحلّل ضمن سياقات مجتمعية، فلا توجد ظاهرةٌ من دون سياق، فلكل ظاهرة عامّ وخاص، وذاكرة، وعلاقات مُتصوَّرة ضمن العلاقة بين الداخل والخارج، كما أن لكلّ ظاهرة سطحا وعمقا، الظاهرة الاستشراقية لا تخرج عن تلك المواصفات والأطر والسياقات. ومن ثمّ، بعد التعرّف إلى خصائص الظواهر بوجه عام، والظاهرة الاستشراقية بوجه الخصوص، تتحدّد مناهج النظر لتلك الظاهرة، ومناهج تناولها، ومناهج التعامل معها وتأثيراتها.

وفي إطار المَعْلم الأول، لكلّ ظاهرة ذاكرة؛ نجد أن الظاهرة الاستشراقية تكوّنت وتراكمت عبر قرون عدّة، ومع ذلك فإن الظاهرة في إرهاصاتها العامّة واستناداتها الأيديولوجية والفكرية سبقت اسمها (الاستشراق). الظاهرة أولاً، ثمّ تتخذ اسماً لها. وتأكيداً على المَعْلم المهمّ أنه لا ظاهرة من دون سياق، فإن الظاهرة الاستشراقية عبر القرون المتعدّدة اتخذت أشكالاً وأوعية اختلفت وتنوّعت، فامتداد الظاهرة عبر الزمن لا بدّ أن يطرح فكرةَ تشكّلات الظاهرة، مشاربها، ومدارسها، وعالم أفكارها، وكذا حقيقة تحوّلاتها، وعناصر الثبات فيها، والمتغيّرات منها. ورغم مقولات نهاية الاستشراق أو موته، فإن تفحّص الظاهرة في إطار المَعْلم الأساس أن لكلّ ظاهرة سطحا ظاهرا وعمقا كامنا، ومن ثمّ فإن ارتباط الظاهرة الاستشراقية بالمقاصد الكولونيالية ضمن ارتباطات «النشأة» جعلها تنتقل بين أفكار متعدّدة تشكّلت في اهتمامات موروثة، ومسائل تتعلّق بالإسلام والعنف، وبالإسلام والديمقراطية، وبالإسلام والتنمية، وبقضايا أخرى تصدّرت السجال بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، حتى أن مستشرقاً مثل مونتجمري وات (القسّ)، بدا له أن تلك المدرسة التقليدية (وهو منها) يتجاوزها الاستشراق المُتحوِّل موضوعاً وقضاياً، قضاياً أخرى، فاضطره ذلك إلى أن يؤلّف مؤلّفاً في أخريات حياته حول الأصولية، تلك الموضة الفكرية التي تلقّفها هؤلاء من مستشرقين جدد لمعالجة وتناول هذه القضايا.

ومن ثمّ، فإن مواصفات المستشرق قد خرجت من أشكالها القديمة إلى أشكال جديدة، فصار المستشرق خبيراً إعلامياً، أو مستشاراً لهيئات دولة مثل وزارات الدفاع والخارجية ومجالس النواب والشيوخ... إلخ، وانزوى ذلك الاستشراق الكلاسيكي والمعرفي فصار حالةً متخفّيةً ومحتفىً بها، على نحو مظهري للدلالة على الظاهرة، ولكن لا يقل بأيّ حال عن الاستشراق الجديد وبرامجه المستجدّة، وقاد تلك التوجّهات المستشرق برنارد لويس، باعتباره مايسترو هذه «المشاهد الاستشراقية المتحوّلة» ضمن إعادة تعريف الظاهرة الاستشراقية وإعادة صياغة برنامج عملها الجديد. حُشر الأقدمون في زوايا الجامعات ومراكز البحوث، وبرزت مراكز أخرى تهتم بالدراسات الاجتماعية والإنسانية وتهتم بأمور أخرى استدعت تشكيلات جديدة وإعادة صياغة الاهتمامات الاستشراقية وظائفَ وأدواراً، وبدا المستشرق المتخفّي المُحتفَى به احتفاءً في طبعة صارت في ذمّة التاريخ.

وبدا ذلك واضحاً، حتى في مدرسة العلوم السياسية، إذ برز في هامش المتخصّصين في علوم السياسة من يتحدّثون عن إشكالية تطرح فكرةَ مركزية الحضارة الغربية مثل صامويل هنتنغتون في «صدام الحضارات»، وفرانسيس فوكوياما في «نهاية التاريخ». ولكن، لا بدّ أن نشير في الوقت نفسه إلى بروز مدرسة في العلوم السياسية، وفي علمي الاجتماع السياسي والتاريخي، من مثل برتران باديه و«تيموثي ميتشيل وآخرين، من بعض دارسي الظاهرة الإسلامية السياسية.

ثالثاً، من المهم كذلك في الظاهرة الاستشراقية أن نتتبّع البنى المعرفية ومجتمع المعرفة في الغرب والشرق؛ والبنى التحيزية والأحكام المسبقة، وهو طيف واسع من المقولات والأحكام الاستشراقية، والبنى المفاهيمية التي أشرنا إلى بعضها في خضمّ تداعيات سؤال الاستشراق، وهو ما أثّر بدوره في؛ البنية الإدراكية من الغرب للشرق، ومن الشرق للغرب؛ البنية المُحدِّدة للعلاقات (الشرق والغرب، الداخل والخارج، الأنا والآخر)؛ البنية الفكرية الضاغطة على مسائل التغيير والنهوض والإصلاح؛ البنى الاتهامية للحضارة الإسلامية وأوصافها السلبية إلّا من قليل؛ البنى المتعلّقة بالعلاقة بين المغلوب والغالب والقابليات للتقليد. ومن هنا، فإن التعرّف إلى جملة البنى تلك في دراسة عالم الأفكار والمفاهيم والتعميمات والإدراكات ونماذج السلوكات، وجب أن تكون في محلّ فحص وبحث ودرس، في ظلّ واقع الالتباس المعرفي والحضاري ببعد منهجي عميق ونظر رصين.

إذاً، سؤال الاستشراق له صلة مباشرة وغير مباشرة بخريطة الأسئلة المتعلّقة بالنهوض؛ سؤال التاريخ، وسؤال الهُويَّة الحضارية، وسؤال التراث، وسؤال التجديد، وسؤال التخلّف، وسؤال الإنماء والتنمية، وسؤال الدين والاعتقاد، أسئلة بعضها من بعض لا بدّ من رؤيتها ضمن منظومة الأسئلة الواجب أن نخرج منها بحقيقة السؤال، كيف يكون، وكيف يصاغ، وكيف تُستدعى منظومته، ولماذا. وفي ضوء هذا كلّه يمكن أن ننظر إلى الاستشراق وأسئلته الفرعية التي تعلّقت به، ليس بوصفه سؤالا مفردا، بل باعتباره سؤالاً متعلّقاً بأسئلة أخرى ضمن منظومة تحدّد منهج النظر ومنهج التناول ومنهج التعامل، وخرائط الأسئلة الكلّية المتعلّقة بمسألة النهوض، ذلك أن تلك الظاهرة لا يمكن النظر إليها مفردةً قائمةً بذاتها، إن غالب القصور قد يتأتّى من طرح سؤال الاستشراق وكأنه سؤال معلّق في الفضاء من دون بيئة من السياقات.

> بعد التعرّف إلى خصائص الظاهرة الاستشراقية، تتحدّد مناهج النظر لها، ومناهج تناولها والتعامل معها وتأثيراتها
>
> برنارد لويس هو مايسترو «المشاهد الاستشراقية المتحوّلة»، ضمن إعادة تعريف الظاهرة الاستشراقية وإعادة صياغة برنامج عملها

وبنيات معرفية تنوّعت في أشكالها، وتعدّدت في مشاربها، فانتقلت مع المرحلة الكولونيالية وإعادة تموضعها مع أفكار مركزية تتعلّق بالمركزية الغربية في هذا المقام. كان هذا الانتقال الشكلاني مرتبطاً بمنظومات الاستشراق الفكرية والمعرفية ومقولاته شبه الثابتة، التي تسفر عن تحيّزات الظاهرة الاستشراقية.

إن نشأة الظاهرة الاستشراقية قد ارتبطت بمستويَين مهمَّين، لا بدّ من التنبيه إليهما. المستوى الأول يرتبط بمنظومة من المعارف لا يمكن إغفالها أو إهمالها، والمستوى الثاني يرتبط بمنظومة كولونيالية المقصد والهدف، الأمر هنا قد يحمل مزيداً من المفاصلة بين المستويَين، إلّا أن الحقيقة أن الجامع بين المستويَين، والناظم بينهما، منطق نشأة الظاهرة وتحوّلاتها، فضلاً عن (وهو الأكثر أهمية) المقصد والهدف. وكذا فإن اتخاذ الاستشراق والظاهرة الاستشراقية (أيّاً كانت التسميات)، أشار إلى ما يسمّى بالاستشراق الجديد، فإن التراكم لتلك الظاهرة في أوعية مختلفة، كان مؤذناً بتحوّلات الوظيفة والدور. وفي هذا المقام فإن مراكز بحوث ودراسات الشرق الأوسط، وكذا دراسات المناطق ضمن اهتمامات الحضارة الغربية بمناطق بعينها، ظلّت في معظمها تتبع ذات النهج الاستشراقي، والظواهر المتعلّقة بالبنية المعرفية الكولونيالية. سيرة المفهوم والظاهرة (سيرة ومسيرة وسيرورة) عمليات منهجية بعضها من بعض في دراسة الظاهرة الاستشراقية، وفي بيان تطوّراتها وتحوّلاتها. ومن المهمّ في الدراسات الاستشراقية أن نشير إلى عدّة أمور:

أولاً، أن برنارد لويس مثّل المسؤول الأكبر عن صياغة تحوّلات وتشكّلات الاستشراق، والتأكيد على منهجية التعامل مع واقع ما سمّي بالشرق لأوسط، ومن ثمّ فإنه بذاته ومجالاته، التي طرقها في الكتابات التي تميّز بها، والمراكز البحثية التي عاونته وشكّلت دعماً لأجندته للظاهرة الاستشراقية، دفع إلى التركيز في مفاصل ومجالات مستجدّة.

ثانياً، أن الاستشراق منهجيةً في حال التطوّر والتحوّل ووجه بالاستشراق بمدارسه وتوجّهاته التقليدية (الكلاسيكية)، لأنه كان في بعض منه متمسّكاً بالأطر المعرفية للاستشراق التقليدي، وسواء سمّي ذلك بالجديد أو وصف بغير ذلك، فإن الاستشراق بدأ يهتم بمسائل وقضايا مثل «الأصولية» و«الإسلام السياسي» و«الإسلام المناضل» و«الإسلام الراديكالي» و«الإسلام المسلّح»، بل انتقل إلى «الإرهاب»، وجعله ظاهرةً ضمن صناعة الظواهر فيما اعتاد عليه من اختراع العدوّ ضمن مقولات استشراقية

رئيس التحرير معن البياري ■ مدير التحرير ارنست خوري ■ المدير الفني إميل منعم ■ السياسة جمانة فرحات ■ الاقتصاد مصطفى عبد السلام ■ الثقافة نجوان درويش ■ منوعات ليال حداد ■ المجتمع يوسف حاج علي ■ الرياضة نبيل التليلي ■ تحقيقات محمد عزام ■ مراسلون نزار قنديل

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، لندن
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب الدوحة
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب بيروت
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads